تأثيره، ومدى نفوذه لدى الادارة الاميركية ومراكز صنع القرار، سواء في الكونغرس او في البيت الابيض او في المراكز العلمية والجامعات، وايضاً في البنتاغون وجهاز المخابرات الاميركية.

والقارىء المدقق يكتشف حقيقة تبدو غريبة بعض الشيء، وهي ان الادارة الاميركية حرة في الاختيار والتعامل مع رعاة مصالحها وحلفائها في اي منطقة في العالم، باستثناء الشرق الاوسط، حيث تفرض اسرائيل عليها، دوماً، ان تكون هي، فقط، الراعي الوحيد للمصالح الاميركية في المنطقة، وان اي سياسي او دبلوماسي اميركي يسعى لتوطيد علاقات اميركا بحلفاء عرب في المنطقة ليس له سوى المجابهة مع اللوبي الصهيوني؛ وعادة ما تنتهي مساعيه ليس الى فشل او طرده من منصب فحسب، بل ومحاصرته ومنعه من ممارسة أي نشاط عام.

وذلك يوضح ان الفهم الخاص في أن اسرائيل ما هي الا مجرد اداة لرعاية المصالح الاميركية في المنطقة، أصبح فهماً قاصراً، حيث تطورت العلاقات الاسرائيلية ـ الاميركية، واصبحت لاسرائيل اليد الطولى في صوغ السياسة الاميركية في المنطقة، وفقاً للمصالح الاسرائيلية في المقام الاول؛ ولعل هذا ما يزعج بعض الساسة والدبلوماسيين واصحاب المصالح الاميركية في الشرق الاوسط، وخاصة احتكارات النفط.

ويستنجد بول فندلي، في كتابه، بحلفاء اميركا العرب لممارسة ضغط، عبر لوبي عربي يلعب دوراً موازياً للوبي الصهيوني. ولكن يبقى السؤال، بعد كل ما يكشف عنه فندلي من نفوذ قوي للوبي الصهيوني على مراكز صنع القرار الاميركي، هل يستطيع اصدقاء اميركا العرب في تحقيق أمل فندلي بافتراض تطابق المصالح الاميركية مع هؤلاء العرب ؟

يكاد يكون من المستحيل الاجابة بنعم. اولاً، تعتبر واشنطن اسرائيل الحليف الاول والاساسي في المنطقة، ذلك لأن حلفاءها من العرب لا يتمتعون بالاستقرار المطلوب الذي تنعم به اسرائيل؛ كما تثير صداقتهم لاميركا نقمة قطاعات واسعة من الشعوب العربية؛ ثانياً، وبناء على العامل الاول، تقف اميركا، بشكل دائم، بجوار اسرائيل عند تصاعد حدة الصراع العربي ـ الاسرائيلي في المنطقة، مما يدفع علاقاتها مع اصدقائها العرب الى أزمات متوالية؛ ثالثاً، ان الجالية اليهودية كبيرة الحجم (ستة ملايين) وواسعة الانتشار والثراء، هي جزء أصيل في نسيج المجتمع الاميركي، على عكس الجالية العربية صغيرة العدد، والممزقة بين النزاعات الاقليمية والطائفية، بالاضافة الى انها جالية مغتربة.

على أية حال، يبقى كتاب فندلي وثيقة اساسية ونادرة في كشف أساليب الانشطة الصهيونية وكيفية رسمها للسياسة الاميركية في الشرق الاوسط، خاصة وان المكتبات العالمية، والعربية منها بصفة خاصة، ليس لديها الوثائق والدراسات الكافية حول طبيعة هذه الانشطة، مما يدفع البعض، أحياناً، الى التقليل من شأن النفوذ الصهيوني في الولايات المتحدة. وعلى الرغم من ان بعض الكتابات قد ضخّم من هذا النفوذ، الا انه لم يبلغ الحقيقة، فالواقع الذي يصفه فندلي أفدح من اي تصور عربي لمدى نفوذ هذا اللوبي.

ومن ابرز ما تطرق اليه فندلي هو ما يتصل بعمل اللجنة الاميركية ـ الاسرائيلية للشؤون العامة (ايباك). فهي ـ حسب المؤلف ـ أشهر لجان الكونغرس الاميركي، وصاحبة السلطة الرئيسة بين جماعات الضغط في واشنطن. وليست «ايباك» سوى جزء من اللوبي الصهيوني، ولا مبالغة في انها تتحكم، فعلاً، بكل تصرفات الكونغرس بشأن السياسة الشرق أوسطية. وهذا الوضع يدعو الى تندر بعض الاوساط الحكومية، فيذكر السفير الاميركي السابق في السودان: «اننا كنا في وزارة الخارجية نتندر بأنه اذا اعلن رئيس وزراء اسرائيل، يوماً ما، ان الارض مسطحة، لأصدر الكونغرس، خلال ٢٤ ساعة، قراراً يهنئه فيه على هذا الاكتشاف».

وحتى رئيس الولايات المتحدة يلجأ الى «ايباك»، كلما واجهته مشكلة سياسية معقدة لها علاقة بالنزاع العربي ـ الاسرائيلي. فعلى سبيل المثال، حينما واجه رونالد ريغان معارضة علنية متزايدة لوجود مشاة البحرية الاميركية في لبنان، سعى في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨٣ الى الاستعانة بـ «ايباك» التي ضمنت له أغلبية اصوات مجلسي الشيوخ والنواب، فاتصل ريغان، شخصياً، الذي غمرته الفرحة، برئيس «ايباك» ليشكره.

وتتولى «ايباك» تقديم المساعدات المادية والسياسية الضخمة الى مرشحي الكونغرس، فتضمن، في المقابل، ولاءهم واصواتهم في اي قرار يصدره الكونغرس خاص بالشرق الاوسط. وايضاً، تتولى التنديد ومهاجمة اي عضو في الكونغرس يصوت ضد رغبتها، على نحو ما فعلت مع فندلي نفسه وكثيرين غيره، مثل مكلوسكي الذي وقف،